محاضرة رقم -٠٣-

النظرية الوضعية

١-تعريفها:

يعود مصطلح الوضعية إلى المذهب الفلسفي الذي يقسم المعرفة على نطاق الخبرة الحسية، والوضعي من الأشياء ما كان متحققا في عالم الحس والتجربة وإن كانت أسبابه القصوى وقوانينه التي شرعها الله وفرضها على الطبيعة مجهولة لدينا.

فالوضعي مرادف للحقيقي والتجريبي ومقابل للتأمل والخيال والوهم وقد ظهرت الوضعية كرد فعل للفلسفة التقليدية وكمحاولة لتفادي تعقيداتها واختلافها وذلك لإقامة التفكير على أساس موحد ويعتبر **"هيوم"** رائدا للمذهب الوضعي و**"أوجست كونت"** داعية إليه الذي نشأت عنه الوضعية المنطقية التي ترجع استحالة معرفة الإنسان لما يجاوز خبرته إلى منطق اللغة نفسه لا إلى أساس سيكولوجي.[١]

أما النظرية الوضعية فهي اتجاه فكري يبني تفسير العلم على مصطلحات التجربة و تستلهم نقطة انطلاقها من العلوم الطبيعية التي أثبتت أنها أنجح طريقة لمعالجة مادة التجربة كما أنها تحاول أن تبحث عن نظرية موحدة لعالم الظواهر الإنسانية والطبيعية من خلال تطبيق المناهج والنتائج التي تصل إليها العلوم الطبيعية.[٢] فهي تسمي أم النظريات الاجتماعية وهذا ما دفع العلماء للمدرسة الوضعية كذلك تواجد النظام الكنيسي والذي يماثل السلطة النظام استفاد منها الماركسيون في الثورة وكانوا يطالبون الكنيسة بتكريس النظام.

ويمكن وضع تخطيط للنظرية الوضعية على النحو التالي:

---

[١]-عبد الباسط عبد المعطي: اتجاهات نظرية في علم الاجتماع ،دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٥، ص ١٧.

[2] Danielle, introduction to sociology, susty, Nelson, 4, Edition, 1997 p25.

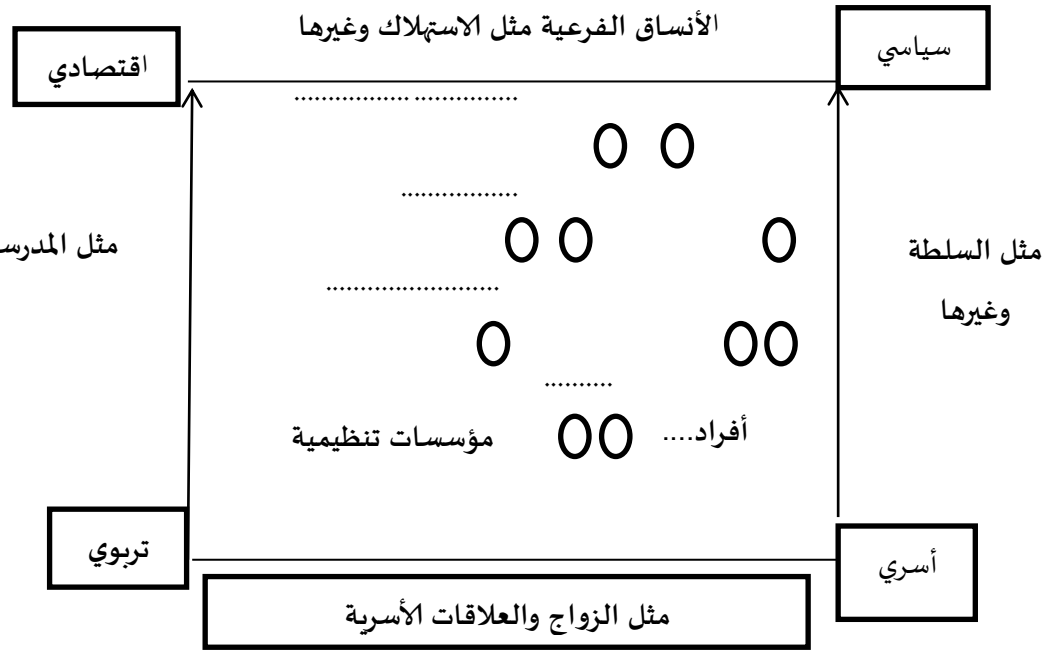

٢-سياق النظرية الوضعية:

تأثرت بالسوسيولوجيا وبالضبط مع "**سان سيمون**" و"**هيربرت سبنسر**" و"**أوجست كونت**" و "**إيميل دوركايم** "بالمرحلة الوضعية التي تبنت مناهج العلوم الطبيعية في القرن التاسع عشر بالاحتكام إلى الفرضيات والأخذ بالملاحظة الخارجية والميل إلى التجريب والقيام بكثرة الاختبارات واستصدار القوانين والنظريات العامة ،أي يقوم علم الاجتماع الوضعي على الملاحظة العلمية الخالصة والتجريب الدقيق والمنهج المقارن والاستعانة بالحقبة التاريخية والاسترشاد بالحتمية التجريبية القائمة على العلية والارتباط بين المتغيرات المستقلة والتابعة .

لذا كانت العلوم الطبيعية بما فيها الفيزياء والرياضيات والفيزيولوجيا والكيمياء مثالا ونموذجا متميزا من قبل الوضعين.

ويعني أن الوضعية كانت تتاح الثورة الفرنسية وفلسفة القرن العشرين.

وفي هذا الصدد يقول "**ليفي بريل**" : أن **كونت** كان يمثل فلسفة القرن العشرين بأسره، فمن بين المذاهب التي نشأت في فرنسا في القرن التاسع عشر كان مذهب **كونت** الذي استطاع أن يتجاوز الحدود

ويترك أثرا قويا في المفكرين حيث اعتمد على العلم والعقل والتجريب وتجاوز الأسطورة والميتافيزيقيا والاستفادة من مكاسب عصر النهضة وعصر الأنوار ومن مبادئ الثورة الفرنسية.[٣]

٣-التصور المنهجي للنظرية الوضعية:

اعتمدت السوسيولوجيا الوضعية على منهجية التفسير في دراسة الظواهر المجتمعية على أساس ارتباطها السببي والعلمي لحيث دراسة المتغيرات المستقلة والمتغيرات التابعة ضمن رؤية تجريبية استقرائية وعلمية بهدف تحصيل القوانين ولنظريات أو اختزال مجموعة من الظواهر في أقل عدد من العمليات المنطقية، ومن ثم يعد التفسير من أهم مبادئ الفكر العلمي أو الفكر الوضعي الموضوعي لذا تشير كلمة السوسيولوجيا إلى هذا الجانب التفسيري الوضعي ،بالربط بين مفهومين متضامنين معا علم ومجتمع بمعنى أن السوسيولوجيا تدرس الظواهر المجتمعية دراسة علمية موضوعية باستجلاء العلاقات السينية والارتباطية بين المتغيرات المدروسة سواء كانت مستقلة أم تابعة.

وفي هذا الإطار يقول **"مارسيال موس"** : السوسيولوجيا هي كلمة وضعها **"أوجست كونت"** يشير بها إلى العلم الذي يعني بدراسة مجتمعات وكل ما تصدر عليه السوسيولوجيا وهو اعتبار ما يسمى بالوقائع الاجتماعية وهي موجودة في الطبيعة أي أنها خاضعة لمبدأ نظام الحتمية الكونين وبالتالي هي وقائع تنطوي على معقولية. وهذا ما يعني إذا كانت نظرية الفعل الاجتماعي مع ماكس فيبر تأخذ بمنهج الفهم والتأويل فإن المنهج الوضعي يسند إلى التفسير في دراسة الظواهر الاجتماعية.[٤]

---

[٣]- محمد محمد أمزيان: منهج البحث الاجتماعي بين الوضعية والمعاينة، منشورات المعهد العالي للفكر الإسلامي، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية ط ١،١٩٩١ ص ٥١-٥٧.

[4] - Marcel mouss : essai de sociologie Ed minuit, paris, France ,1971 p 7

٤-روادها

أولا: الوضعية عند أوجست كونت١٧٩٨-١٨٥٧:

١-موضوع علم الاجتماع: مثل الظاهرة الاجتماعية لم يحدد **كونت** موضوعا لعلم الاجتماع معتبرا أن الإنسانية هي موضوع العلم وهي الحقيقة الجديرة بالدراسة والبحث، ولكن إذا كانت الإنسانية هي موضوع علم الاجتماع وكيف هي علاقته بالفلسفة وعليه يدرسها كونت في حالتين:

١- **الديناميك الاجتماعي:** في هذه الحالة تهتم السوسيولوجيا بدراسة قوانين الحركة الاجتماعية والسير الآلي للمجتمعات الإنسانية والكشف عن مدى التقدم الذي تخطوه الإنسانية في تطورها أي دراسة الاجتماع الإنسان برمته وانتقاله من حال إلى حال هذه الحالة تقوم على أساس فكرة التطور والتقدم.

٢- **الستاتيك الاجتماعي:** موضوعها هو دراسة المجتمعات الإنسانية في حالة استقرارها في فترة معينة من تاريخها وكذلك الاجتماع الإنساني في تفاصيله وجزئياته وفي نظمه وقواعده السياسية والقضائية والاقتصادية والأخلاقية والدينية ....إلخ وفي عناصرها ووظائفها بهدف الكشف عن القوانين التي تحكم التضامن بين النظم الاجتماعية أي فكرة النظام والتضامن.[٥]

٢-مصدر القوة الاجتماعية عند كونت:

إن مصدر القوة عند **كونت** يتمثل في التحليل الاستيتيكي للمجتمع الذي يتكون من ثلاث مكونات

٢-١-**الفرد:**

فالفرد لا يعتبر عنصرا اجتماعيا ولا قيمة لقوته الطبيعية لان القوة لاجتماعية مستمدة من نظام الأفراد ومشاركتهم في العمل و توزيع الوظائف بينهم كما انه لا قيمة أيضا لقوة الفرد العقلية إلا باتحادها مع غيره من القوى ولا قيمة أيضا لقوة الفرد الأخلاقية وليدة الضمير الجمعي والتضامن الأخلاقي في المجتمع، وفي الأخر فالفردية لا يتحقق فيها أي شيء من

[5] -Seltizeet al research methods in social relations Holt Rinehart,NY,USA, 1961 P480-481.

المظاهر الجمعية دون امتزاج العقول وتفاعل وحدات الأفراد واختلاف وظائف وتنوع الأعمال ذات الأهداف الواحدة والغايات المشتركة

٢-٢-الاسرة:

هي أول خلية في جسم التركيب الجمعي وهي ابسط وسط يتحقق فيه مظاهر الحياة الاجتماعية من امتزاج للعقول و تفاعل للوجدانات و اختلاف في الوظائف وتنوع في الأعمال وهي أيضا اتحاد له طبيعة أخلاقية لان المبدأ الأساسي في تكوينها يرجع في نظر **"كونت"** إلى وظيفتها الجنسية والعاطفية إذ ثمة ميل متبادل بين الزوجين من جهة وعطف متبادل بينهم و الأبناء من جهة أخرى، فالمشاركات الوجدانية موجودة بين أفراد هذا المجتمع الصغير وثمة واجبات على كل فرد في الأسرة كالتربية و نزعة دينية يغرسها الوالدان في أولادهم.

٢-٣-المجتمع:

وهو وحدة حية ومركبة ومعقد أهم مظاهر التعاون والتضامن لذا فهو من طبيعة عقلية ووظيفته أخلاقية تابعة لها ولاحقة ومترتبة عليها، أما مبدأ التعاون والتضامن فهو الذي يحكم المجتمع ويسيطر عليه، هذا المبدأ يسمى تقييم العمل وتوزيع الوظائف الاجتماعية لدى المفكرين المحدثين.

ثانيا: إيميل دوركايم:١٨٥٨-١٩١٧(النظرية الوضعية:

١-أهم العوامل التي شكلت فكر دوركايم:

إذا ما نظرنا إلى إسهامات **دوركايم** العلمية، يمكن لنا أن نستقرأ العوامل التي أثرت في فكره ويبدو أن أهم عامل هو الديانة التي ينتمي إليها وهي اليهودية، فنحن نعلم ما تعرض له اليهود عبر التاريخ وفي أكثر من منطقة جغرافية، مما جعلهم أكثر تضامنا وتكاتفا وهذا ما لفت نظر **دوركايم** وجعل دراساته تنصب حول محور التضامن الاجتماعي.

كما كان للثورة الفرنسية واعتناق البعض للفكر الماركسي أثر كبير على **دوركايم** في تشكيل نظرياته وبلورة أفكاره.

ومع انهيار المجتمع الفرنسي عام ١٨٧٠م ومع شعور الفرنسيين بالإهانة من جراء الهزيمة، كان شغل **دوركايم** الشاغل هو إعادة بناء المجتمع من خلال بناء التماسك الأخلاقي

فيه. ومن هنا كان اهتمام **دوركايم** بالنظام العام القائم على التضامن بنوعيه والذي يستمد استقراره من سلطة الضمير الجمعي.

كما تأثر بأفكار **سان سيمون** وعمل على تطوير الجانب المحافظ الذي آمن به **سان سيمون** ودعا إليه وتأثر كذلك بأفكار **أوجست كونت** ولكنه لم يرددها على عواهنها وإنما عمل على تمحيصها وانتقادها وتطويرها كما أريانا في فلسفة الوضعية.

أما الفكر الماركسي فقد كان له أثره البالغ على **دوركايم** حتى ذهب البعض إلى أن كل أعماله ما هي إلا محاولة لإقامة نموذج للمجتمع يعارضٍ نموذج ماركس الاشتراكي.

وأخيرا لا يسعنا القول إلا أن **دوركايم** يعتبر من أعاظم علماء الاجتماع بل ويعتبره البعض هو المؤسس الحقيقي لعلم الاجتماع.

ثالثا: ماكس فيبر ١٨٦٤-١٩٢٠

١-ماكس فيبر والسوسيولوجيا:

يعرف ماكس فيبر السوسيولوجيا في كتابه (الاقتصاد والمجتمع): علم الاجتماع هو العلم الذي يعني بفهم النشاط الاجتماعي وتأويله ،وتفسير حدوثه ونتيجته سببيا.

- إذا يدرس علم الاجتماع الفعل أو العمل أو النشاط الاجتماعي.
- إذن السوسيولوجيا عنده هي علم بخصوص الفعل الاجتماعي.

كما يقول أيضا :إن ما ندعوه سوسيولوجيا هو علم مهمته الفهم ،عن طريق تأويل النشاط الاجتماعي.

ويعني هذا أن المجتمع يتكون من مجموعة من الأشخاص الذين يقومون بسلوكيات أو أفعال أو أعمال وهذه الأفعال هي جوهر علم الاجتماع الذي هو دراسة التفاعل الاجتماعي بين الأفراد داخل المجتمع وكيف يعطي الناس فهما ذاتيا للعالم ،وكيف يوجهون سلوكهم في إطار هذا النوع من الفهم أي فهم نوايا هذا الفعل الاجتماعي وأسبابه.[٦]

---

[٦] فيليب كابان وجان فرانسوا دورتيه، علم الاجتماع، ترجمة إلياس حسن، دار الفرقد، دمشق، الطبعة الأولى ٢٠١٠، ص ٤٨.

أضف إلى ذلك أن الهدف من علم الاجتماع ليس هو بناء النظريات المجردة كما كان يفعل الوضعيون بل هو علم تاريخي، وعليه تعني السوسيولوجيا الفيبرية بدراسة أفعال الفرد في علاقة بينية المجتمع من نظرية التفاعل الاجتماعي أو نظرية التأثير والتأثر.

٢-موضوع السوسيولوجيا عند ماكس فيبر:

يتحدد موضوع السوسيولوجيا عند ماكس فيبر في دراسة الافعال الفردية ضمن نسق اجتماعي معين بالتركيز على علاقات التأثير والتأثر ،ودراسة مختلف أنماط التفاعل الاجتماعي في علاقة بينية المجتمع [٧]، وهذا ما يوضح أنه تجاوز الدراسة الخارجية للظواهر المجتمعية إلى تمثل المقارنة السيكولوجية الداخلية للفاعل الفرد أي أنه يدرس الفعل الفردي من الناحية الخارجية في ضوء المقاربة التفسيرية ومن جهة أخرى يدرس هذا الفعل من الداخل في ضوء منهج الفهم.

[٧] فيليب كابان، المرجع نفسه، ص ٥٠.